

"مَنْهَجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آدَاءِ أَمَانَةِ الْقُرْآنِ"

الْحُطْبَةُ الْأُولَى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ، وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَأَنْزَلَ مِنْ كُتُبِهِ مَا أَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ إِلَى الْجَنَانِ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى أَنْ هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، وَحَبِيبَهُ مِنْ خَلْقِهِ وَخَلِيلَهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الْأَطْهَارِ، وَصَحَابَتِهِ الْعُرَّةِ الْمِيَامِينَ الْأَخْيَارِ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا تَتَابَعَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

أَمَّا بَعْدُ؛ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي الْإِيمَانِ، فَيَقُولُ الْبَارِئُ جَلَّ وَعَلَا فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ)

عِبَادَ اللَّهِ؛ فِي إِطَارِ أَهْدَافِ حُطْبَةِ الْجُمُعَةِ الدَّاعِيَةِ إِلَى الْعِنَايَةِ بِأَمَانَاتِ الرَّسُولِ ﷺ، الْمَذْكُورَةِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)

تَأْتِي هَذِهِ الْحُطْبَةُ لِلْحَدِيثِ عَنِ مَنْهَجِ النَّبِيِّ ﷺ، فِي آدَاءِ هَذِهِ الْأَمَانَاتِ؟ وَكَيْفَ تَلَقَّاهَا عَنْهُ الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ؟ وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْاِقْتِدَاءِ وَالِاِهْتِدَاءِ بِهِمْ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، بَدْءًا بِأُولَى هَذِهِ الْأَمَانَاتِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى «الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ».

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ بَدَأَ يَنْزَلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَالْحِكْمَةُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الصَّحَابَةُ قَادِرِينَ عَلَى اسْتِنْعَابِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتَبٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾. كَمَا ضَمِنَ اللَّهُ تَعَالَى حِفْظَهُ وَبَيَانَهُ لِلرَّسُولِ ﷺ فَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾.

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، كَانَ يُعَالِجُ (أَيُّ: يُعَانِي) مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، مَخَافَةَ ضِيَاعِ الْقُرْآنِ مِنْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، وَمَعْنَى ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ أَيُّ: جَمْعَهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرُؤُهُ، وَمَعْنَى ﴿فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ﴾ أَيُّ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ يَسْتَمِعُ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِإِنصَاتِ الْمُتَلَقِّي، وَخُشُوعِ الْمُتَعَبِّدِ، حَتَّى يَفْرُغَ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَيَقْرَأُ النَّبِيُّ ﷺ، كَأَمَّا نُقِشَ فِي صَدْرِهِ نَقْشًا، ثُمَّ يَدْعُو أَحَدَ كُتَّابِ الْوَحْيِ وَهُمْ كَثُرُ يُقَارِبُونَ الْأَرْبَعِينَ، فَيُؤَمِّلِيهِ عَلَيْهِمْ فَيَكْتُبُوهُ. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَكُونُ هَذِهِ الْآيَاتُ النَّازِلَةُ مَوْضِعَ نَشْرِ وَتَطْبِيقِ وَعَمَلِ، فَمَا تَنْزَلُ عَلَيْهِ آيَاتٌ أُخْرَى إِلَّا وَقَدْ بَادَرَ الْجَمِيعُ إِلَى الْعَمَلِ بِمَا نَزَلَ، فَجَمَعُوا بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَالْحِفْظِ وَالْفَهْمِ، وَاللَّيْلَةِ وَالتَّرْكِيَةِ...

وَيَجَسِّدُ هَذَا الْمَنْهَجَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِذْ يَقُولُ: «لَقَدْ عَشْنَا دَهْرًا طَوِيلًا وَأَحَدْنَا يُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، فَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا وَأَمْرَهَا وَزَاجِرَهَا وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا. ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ رَجَالًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ، فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ إِلَى خَاتِمَتِهِ، لَا يَذْرِي مَا أَمْرُهُ وَلَا زَاجِرُهُ، وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ، وَإِنَّمَا يَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقْلِ». أَيُّ؛ يَرْمِيهِ كَمَا تُرْمَى الثَّمَرَةُ الرَّدِيئَةُ.

فَهَذَا الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ، يَحْكِي حَالَهُمْ مَعَ الْقُرْآنِ؛ وَأَنْهُمْ يُؤْتُونَ الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، يَعْنِي: أَنَّهُمْ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَخَضَعُوا لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَتَحَرَّرُوا مِنْ أَهْوَائِهِمْ، فَكَانُوا عَلَى اسْتِعْدَادٍ تَامٍ لِتَلْقَى الْوَحْيَ وَالْعَمَلَ بِهِ، آيَةٌ آيَةٌ، وَسُورَةٌ سُورَةٌ. وَيَشْكُو عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِنْ قَوْمٍ فِي آخِرِ عُمْرِهِ، وَقَدْ تُوَفِّيَ سَنَةٌ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ، أَنَّهُمْ يُؤْتُونَ الْقُرْآنَ قَبْلَ رُسُوحِ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِهِمْ، فَيَحْفَظُونَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَتَعَلَّمُونَ حَلَالَهُ وَلَا حَرَامَهُ، وَلَا يَقِفُونَ عِنْدَ أَوْامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ. وَهَكَذَا عِبَادَ اللَّهِ؛ يَبِينُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ الْعِبْرَةَ بِالْعَمَلِ وَالتَّطْبِيقِ، لَا بِمُجَرَّدِ حِفْظِ الْآيَاتِ وَتَرَدُّدِهَا عَلَى اللِّسَانِ. عَلِمًا بِأَنَّ لِلْحِفْظِ وَالتَّلَاوَةِ فَضْلًا عَظِيمًا وَتَوَابًا كَرِيمًا.

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَوَقَفْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْبَيِّنَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الْحُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

عِبَادَ اللَّهِ؛ هَكَذَا عَاشَ النَّبِيُّ ﷺ وَصَحَابَتُهُ الْكِرَامُ مَعَ الْقُرْآنِ وَتَعَامَلُوا مَعَهُ تِلَاوَةً وَتَدْبِيرًا وَعَمَلًا وَنَشْرًا، وَهُمْ فِي غَايَةِ السَّعَادَةِ وَالْإِحْسَاسِ بِالْعِنَايَةِ الْقُرْآنِيَّةِ بِهِمْ، مُنْتَظِرِينَ تَنْزِلَاتِهِ فِي سَائِرِ أَحْوَالِهِمْ، فَرَحِينَ بِمَا يَأْتِي بِهِ مِنْ حُلُولِ لِمَشَاكِلِهِمْ، وَقَتَاوَى لِأَسْئَلَتِهِمْ، وَتَقْوِيمِ لِسُلُوكِهِمْ، طَوَالَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً مِنَ النَّزِيلِ، «فَلَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي مَوْقِفِ عَرَفَاتٍ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَثَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا

﴿، بَكَى جَمْعٌ مِنَ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ، فَقِيلَ لَهُمْ: لِمَ تَبْكُونَ وَقَدْ أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْنَا نِعْمَتُهُ؟ قَالُوا: نَبْكِي لِانْقِطَاعِ خَبَرِ السَّمَاءِ».

عِبَادَ اللَّهِ؛ إِذَا كَانَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ تَامًا مِنْ حَيْثُ النُّزُولُ، فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَمْدُودُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَهُوَ الْهُدَى وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّقَاءُ لِمَا فِي

الصُّدُورِ، مَنْ عَمِلَ بِهِ نَجَا، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَلَا تَزَالُ الْأُمَّةُ  
بِخَيْرٍ مَا اسْتَمْسَكَتْ بِهِ، وَإِنْ بِلَادُنَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ بِلَادُ الدِّينِ وَالْقُرْآنِ، حَافِظَةٌ لِلْقُرْآنِ  
مَحْفُوظَةٌ بِهِ، وَقَدْ دَعَا وَلِيَّ أَمْرِنَا حَفِظَهُ اللَّهُ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْعِنَايَةِ بِهِذِهِ الْمَكْرَمَةِ  
وَالْمُنْقَبَةِ، اِقْتِدَاءً بِالْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ، وَامْتِدَادًا لِلْخَيْرِ مِنْ خَيْرِ سَلَفٍ إِلَى خَيْرِ خَلْفٍ.

عِبَادَ اللَّهِ، اتَّقُوا اللَّهَ فَمَا مِنْ عَبْدٍ أَدْلَجَ فِي طَرِيقِ النُّفُوسِ، إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ عِلْمِ  
الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، مَا يَكُونُ سَبَبًا فِي فَلَاحِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ  
نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى قَلْبِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً وَسِرَاجًا مُنِيرًا،  
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كُلَّمَا ذَكَرَكَ وَذَكَرَهُ  
الذَّاكِرُونَ، وَعَقَلَ عَنْ ذِكْرِكَ وَذَكَرَهُ الْعَاقِلُونَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ  
الْجَامِعِينَ لِلْقُرْآنِ حِفْظًا وَعَمَلًا، وَالْحَافِظِينَ لِحُرُوفِهِ صُحُفًا وَمُصْحَفًا، أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ  
وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنْ بَاقِي الصَّحَابَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَعَنِ التَّابِعِينَ لَهُمْ  
فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. وَأَنْصُرْ اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيْتَهُ أَمْرَ عِبَادِكَ، وَاخْتَرْتَهُ لِلْعِنَايَةِ  
بِكِتَابِكَ وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ، وَجَعَلْتَهُ مِنَ الشَّاكِرِينَ لِنِعْمِكَ وَالْأَيُّكُ، وَلِيَّ أَمْرِنَا خَادِمِ الْحَرَمَيْنِ  
الشَّرِيفَيْنِ نَصْرًا عَزِيزًا تُعِزُّ بِهِ دِينَكَ، وَتَرْفَعُ بِهِ رَايَةَ أَوْلِيَائِكَ مِنْ عِبَادِكَ، اللَّهُمَّ بَارِكْ  
لَهُ فِي الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ وَأَرِهِ مِنْ وَطْنِهِ وَشَعْبِهِ مَا يَسُرُّهُ وَتَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ، وَأَقْرَ عَيْنَهُ  
بِوَلِيِّ عَهْدِهِ،

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا  
مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رِبِيعَ  
قُلُوبِنَا، وَتُورَ صُدُورِنَا وَشِفَاءَ قُلُوبِنَا، وَجَلَاءَ أَحْزَانِنَا، وَدَهَابَ هُمُومِنَا وَعُغُومِنَا، يَا  
رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا بِرَحْمَةِ الْقُرْآنِ، وَاهْدِنَا بِهَدَايَةِ الْقُرْآنِ، وَتُورَ قُلُوبِنَا بِتُورِ الْقُرْآنِ، وَأَدْخِلْنَا  
الْجَنَّةَ بِشِفَاعَةِ الْقُرْآنِ، وَارْحَمْ بِهِ مَوْتَانَا وَمَوْتَى الْمُسْلِمِينَ، وَدَاوِ بِهِ مَرَضَانَا وَمَرْضَى  
الْمُسْلِمِينَ.

رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي  
الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى  
الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.